

التي ينشأ عليها الصغار

للإمام ابن أبي زيد القيرواني

وُلد سنة ٣١٠ وتوفي سنة ٣٨٦

رحمه الله تعالى

لا إله إلا الله

محمد رسول الله

اعتنى بها

عبد الفتاح أبو غدة

دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

العقيدة الإسلامية
التي ينشأ عليها الصغار

للإمام ابن أبي زيد القيرواني

وُلد سنة ٣١٠ وتوفي سنة ٣٨٦

رحمه الله تعالى

اعتنى بها

عبد الفتاح أبو غُدّة

دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م
الطبعة الثانية ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م
الطبعة الثالثة ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

القاهرة - مصر ١٢٠ شارع الأزهر ص ب ١٦١ الغورية
هاتف ٥٩٣٢٨٢٠ - ٢٧٤١٥٧٨ - ٢٧٠٤٢٨٠ (٢٠٢)
فاكس ٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تقدمة :

سبَبُ تاليف الرسالة ، ومكانتُها

كان في مدينة تونس في القرن الرابع الهجري ، شيخٌ جليل وعبدٌ صالح ، هو المؤدِّبُ مدرِّسُ القرآنِ الكريم أبو محفوظ مُحْرَزُ ابنُ خَلَفٍ الصَّدَفي التونسي ؛ وكان قد سَعِدَ بتعليم القرآن الكريم للأطفال ، وتحفيظِهم إياه على وجهٍ متقَنٍ صحيح ، مع تأديبِهم .

واشتَهَر هذا الشيخ بصلاحه وتقواه وطِيبِ أنفاسِهِ وحُسنِ تأديبه للأطفال ،

فأقبل عليه الناسُ من قريب وبعيد بأولادهم ، يُرسلونهم إليه ليُلقِّنَهم القرآنَ الكريم ، ويحفظوه مُجَوَّدًا مُرَتَّلًا بين يديه ، ويقتبسوا من أخلاقه ودينهِ وأدبه . وتخرَّج من عندِهِ أجيالٌ وجماعات كثيرة . فبَدَا لهذا الشيخ الجليل أن يُضيفَ إلى تلقينِ القرآن الكريم وتحفيظِهِ للأطفال : تلقينَ العقيدةِ الإسلامية على مذهب أهل السُّنَّة والجماعة ، لِتُغرَسَ في قلوبهم من صِغرِهم ، ومَعَها جملةٌ من الأحكام الفقهية التي تتقبلها أسنانُهم الناشئة ، فرَجَا من صاحبِهِ وصديقِهِ العالمِ العامل والعبدِ الصالح والفقيهِ المالكيِّ المحدِّث الشيخِ الإمام أبي

محمد عبد اللّه بن أبي زيد القَيْرَواني التونسي : أن يؤلّف له كتابًا لطيفَ الحجم ، سهلَ الفهم والعلم ، يحتوي على بيان العقيدة الإسلامية ، وأبوابٍ من الفروع الفقهية ، ليُلقِّنَهُ للوِلدانِ المتعلمين عنده ، مع تعليمهم القرآنَ الكريم وتحفيظهم إياه ، فاستجاب الشيخ الإمام ابن أبي زيد لرغبة صاحبه الجليل ، فألَّف كتابًا عُرِفَ باسم « الرسالة » نظرًا إلى إرساله من الشيخ الإمام إلى صاحبه مُحْرَز ولاختصاره ولطافته ، فصار الشيخُ المؤدِّبُ أبو محفوظ مُحْرَزٌ : يَجمعُ للأطفال الذين يُؤدِّبُهم بين تعليم القرآن وتلقين العقيدة وتدريس الفقه ،

فكانت ثمراتُ العلم فيهم أتم ، والخيرُ والدينُ في أدبِهم وأخلاقِهم أقوى وأعمّ .

والاهتمام بتعليم القرآن للوِلدانِ الصغارِ أوَّلَ نشأتِهم ، هو : شِعارُ الدين وعُنوانُ المسلمين ، قال العلامة القاضي المُرَبِّي ابنُ خَلْدون في « مقدمته »[1] : « اعلم أن تعليم الوِلدانِ للقرآن : شِعارُ الدين ، أَخَذَ به أهلُ المِلَّةِ ودَرَجوا عليه في جميع أمصارِهم ، لِمَا يَسبِقُ فيه إلى القلوب من رسوخِ الإيمان وعقائده ، من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث ، وصار القرآن أصلَ التعليم

---

(١) في (الفصل الواحد والثلاثون في تعليم الولدان ...) ص ٥٣٧ و ٥٤٠ .

الذي ينبني عليه ما يَحْصُلُ بعدُ من المَلَكاتِ .

وسبَبُ ذلك أن التعليم في الصغر أشدُّ رُسُوخًا ، وهو أصلٌ لما بعده ؛ لأن السابقَ الأولَ للقلوب كالأساسِ للمَلَكات ، وعلى حَسَب الأساس وأساليبهِ يكونُ حالُ ما يَنبني عليه . ويُقدَّمُ تعليمُ القرآن إيثارًا للتبركِ به والثوابِ عليه ، وخشيةَ ما يَعرِض للوَلَدِ في غُضُونِ الصِّبَا من الآفاتِ والقواطعِ عن العلم ، فيفوتُهُ القرآن ! فإذا تجاوز البلوغَ فربما عَصفَتْ به رِياحُ الشَّبِيبَة فألقَتْهُ بساحل البطالة ! فيغتنمون في زمان الصِّغَر تحصيلَ القرآن ، لئلا يَذهَبَ الوَلَدُ خِلْوًا منه » . انتهى .

فإضافةُ تعليم (العقيدة) إلى تعليم

القرآن هو من تعليم القرآن بشكلٍ أخصَّ ، كما اقترحه الشيخُ مُحْرَز ، وأجابه الإمامُ ابنُ أبي زيد في « الرسالة » .

وقد تعرَّضَ الإمام أبو حامد الغزالي ، في كتابه « إحياء علوم الدين » ١ : ١٦١ ، إلى أهمية تعليم العقيدة للصغار في مقتَبَلِ نشأتهم ، فبعدَ أن شرح معنى كلمتَيْ الشهادة : (لا إله إلا اللّه) ، (محمد رسول اللّه) ، شرحًا عَذْبًا مستفيضًا ، قال رحمه اللّه تعالى :

« الفصلُ الثاني في وجه التدريج إلى الإرشاد ، وترتيبِ درجات الاعتقاد :

اعلم أن ما ذكرناه في شرح العقيدة ينبغي أن يُقدَّم إلى الصبيِّ في أول نُشُوِّه ،

ليحفظه حفظًا ، ثم لا يزال ينكشف له معناه في كِبَره شيئًا فشيئًا ، فابتداؤه الحفظ ، ثم الفهم ، ثم الاعتقاد والإيقان والتصديق به ، وذلك مما يَحصُل في الصبيّ بغير برهان . فمن فضل اللّه سبحانه على قلب الإنسان أن شَرَحه في أول نُشُوّه للإيمان ، من غير حاجة إلى حجة وبرهان .

وكيف يُنكَرُ ذلك وجميعُ عقائد العوام مباديها التلقينُ المجرّد والتقليدُ المحض ، نعم يكون الاعتقاد الحاصِلُ بمجرد التقليد غيرَ خالٍ عن نوعٍ من الضعف في الابتداء ، على معنى أنه يَقبَلُ الإزالة بنقيضه لو أُلقِيَ إليه ، فلابُدَّ من تقويتِه وإثباتِهِ في نفس

الصبيّ والعاميّ حتى يترسَّخ ولا يتزلزل .

وليس الطريقُ في تقويتِه وإثباتِهِ أن يُعلَّم صنعةَ الجَدَل والكلام ، بل يَشتغلَ بتلاوةِ القرآنِ وتفسيره ، وقراءةِ الحديثِ ومعانيه ، ويشتغلَ بوظائفِ العبادات ، فلا يزالُ اعتقاده يزدادُ رسوخًا بما يَقرَعُ سمعَهُ من أدلة القرآن وحُجَجِهِ ، وبما يَرِدُ عليه من شواهد الأحاديث وفوائِدها ، وبما يَسطعُ عليه من أنوار العبادات ووظائِفها ، وبما يسري إليه من مُشاهدة الصالحين ومُجالستهم ، وسِيْماهُم وَسَمَاعِهم وهيآتِهم في الخضوع للّه عز وجل والخوف منه والاستكانةِ له ، فيكون أولُ التلقين كإلقاءِ

بَذْرٍ في الصَّدْر ، وتكون هذه الأسبابُ كالسَّقْي والتربيةِ له ، حتى ينموَ ذلك البَذْرُ ويَقْوَى ويَرتفعَ شجرةً طيبةً راسخة ، أصلُها ثابتٌ وفَرْعُها في السماء . وينبغي أن يُحرَسَ سمعُه من الجَدَل والكلام غايةَ الحِراسة ، فإن ما يُشوِّشُه الجَدَلُ أكثَرُ مما يُمهِّدُهُ ، وما يُفسده أكثَرُ مما يُصلحُه ، بل تقويتُهُ بالجَدَل تُضاهِي ضَرْبَ الشجرة بالمِدَقَّةِ من الحديد رجاء تقويتها ، بأن تكثر أجزاؤها ، وربما يُفَتِّتُها ذلك ويُفسدُها وهو الأغلب ، والمشاهدةُ تكفيك في هذا بيانًا ، فناهيك بالعِيان بُرهانًا .

فقِسْ عقيدة أهل الصلاحِ والتقَى من عَوَامِّ الناس بعقيدة المتكلمين والمجادِلين ، فترى

اعتقادَ العامِّي في الثبات كالطَّوْدِ الشامخ لا تحركه الدَّوَاهِي والصواعق ، وعقيدةَ المتكلم الحارِسِ اعتقادَهُ بتقسيماتِ الجَدَل كخَيْطٍ مُرسَلٍ في الهواء ، تُفيئه الرياح مرةً هكذا ومرة هكذا ، إلا مَنْ سَمِعَ منهم دليلَ الاعتقاد فتلقَّفَه تقليدًا ، كما تلقَّفَ نفسَ الاعتقاد تقليدًا ، إذ لا فرق في التقليد بين تعلم الدليل أو تعلم المدلول ، فتلقينُ الدليل شيء ، والاستدلالُ بالنظر شيءٌ آخَرُ بعيدٌ عنه .

ثم الصبيُّ إذا وقع نُشُوُّه على هذه العقيدة إن اشتغل بكسب الدنيا لم ينفتح له غيرها [1] ،

---

(١) أي لم يَدخل إلى قلبه غيرُها ، لتمكنها منه في صِغَره ، ورسوخها في فؤاده منذ نشأته .

ويَسلم في الآخرة باعتقاد أهل الحق » ... انتهى . فهذا توجيهُ الإمامينِ : الغزاليِّ وابن خلدون ، نحو تلقينِ الصغير العقيدة ، وتحفيظِه القرآن ، وإسماعِه الأحاديث النبوية ، لتربُوَ شجرةُ الإيمان في قلبه ولُبِّه منذ نشأته ، وتُصاحِبَه حتى آخِرِ حياتِه ؛ فيَسعَدَ في الدارين . ورِسالةُ الإمام ابن أبي زيد هي من هذا الغِراس الطيِّب في نفوس الأطفال ، فجزى اللّه مؤلِّفَها خير الجزاء .

وقد أحرزَتْ هذه الرسالةُ القبولَ التام عند الخاص والعام ، في المغرب كلِّه وجميعِ بلادِ إفْريقِيَّة والأندلس وصِقِلِّية ، وبلغت العراقَ واليمنَ والحجاز والشام ومصر

والسودان ، وصارت فاتحة ما يقرأه المتعلمون والمتفقهون ، في كل بلد يوجد فيه مالكيون .

واتفقت عليها الأنظار ، وقرأها الصغار والكبار ، وشرَحَها العلماء الأفذاذ ، والفقهاءُ المشهورون والبارزون ، وعلَّقوا على شروحها الحواشي ، وخرَّجوا أحاديثها ، وخدموا ألفاظَها اللغويةَ الغريبة ، وتوسعوا في خدمتها حتى صار ما كُتِب عليها من تلك الشروح والحواشي والتعاليق لا يُعَدُّ ولا يُحصَى ، وقد خَصَّ مقدمتَها في (العقيدة) بالشرح والتأليف الإمامُ أبو عبد اللّه محمدُ ابن أحمد الأنصاري الإشبيليُّ ، المعروف

بالخَفَّاف وآخرون .

ومَضَى عليها قُرابَةُ ألفِ عام ومائة عام وهي تُقرأ وتُدرَّس وتُشرَح وتُحفظ ، ويؤلَّف فيها التآليفُ نثرًا ونظمًا ، وذلك عنوانُ إخلاصِ مؤلِّفها ، وصفاء نيته في مقصده : أن يَنتفع بها الصغار ، فانتفع بها الصغار والشبابُ والكبار ، ودرَّسها العلماءُ في معاهد العلم ، وذلك فضلُ اللّه يؤتيه من يشاء .

ترجمة المؤلف

هو الشيخ الإمامُ أبو محمد عبدُ اللّه بنُ أبي زيد : عبدِ الرحمن النَّفْرِي القَيْرَوَاني المالكي ، العالِم العامل ، والعابدُ الزاهد ، والورِعُ الأمين ، الفقيه المحدِّث ، والمفسِّرُ الواعظ ، فقيهُ المالكية في مِصره وعصره ، صاحبُ الأخلاق العالية من الفضل والتقى والزهد والكرم والدِّين ، وصاحبُ المؤلَّفات الكثيرة النافعة ، والمآثرِ الطيبة الحسنة ، وقد اتفقت كلمةُ مترجميه على كثرةِ فضائلِهِ ومحاسنِهِ وإمامتِهِ في العلم والدين .

وُلِدَ سنة ٣١٠ هـ بمدينة القيروان ، وحَفِظَ القرآن الكريم ، وأخَذَ العلم عن كبار شيوخ

بلده وعن شيوخ آخرين من المشارقة لقيهم في حَجَّتِهِ قبل سنة ٣٣٠ هـ، وفي شيوخه كثرة.
واشتَهَر علمُهُ وفضلُه في مطلع شبابه وقد بلغ عشرين سنة، لبالغ نبوغه، وفرطِ ذكائه، وسَعَة عقله، وغزارة حفظِهِ وروايتهِ، وفصاحةِ لسانه وقلمه ومتانةِ دِينه وتحقيقه، ولهذه الصفات الرفيعة لُقِّب بمالكٍ الصغير.

فأخذ عنه العلمَ خلق كثيرون من أهل بلده تونس ومن بلاد إِفرِيقِيَّة والمغرب والأندلس وغيرها، وغدا تلاميذُهُ نجومَ العلم في البلدان التي حَلُّوا بها وفَقَّهوا أهلَها، وألَّفَ التآليفَ الكثيرةَ النافعة الهامَّة، التي بلغَتْ ثلاثين مؤلَّفًا في الفقه

والحديث وعلوم القرآن والتفسير والوعظ والرد على المعتزلة والمبتدعة، وأوَّلُها: «الرسالة» فقد ألَّفها وعمره ١٧ سنة [1] .

(١) كذا قال غيرُ واحد من مترجميه، وفي هذا نظرٌ طويل، ويُبعِدُ صحة هذا القولِ أن ابن أبي زيد ولد سنة ٣١٠ هـ، فإذا كان ألَّف الرسالة وعمره ١٧ سنة، فيكون تأليفها سنة ٣٢٧ . والشيخ مُحرَز «توفي سنة ٤١٣ هـ وقد ناف عن السبعين» كما في «شجرة النور الزكية» ٢ : ٢٠٢ ، فيكون ميلادُه - على هذا باعتداد أنه عاش ٧٥ سنة - في سنة ٣٣٨ هـ .
وهذا ينفي أن يكون ابنُ أبي زيد ألَّف «الرسالة» وعمرُهُ ١٧ سنة، إذ كان عُمُره - بناءً على ما تقدم - عند ولادة الشيخ مُحرَز ٢٨ سنة، وأضف لها ٢٠ سنةً على الأقل ليَشِبَّ الشيخُ مُحرَز ويؤدِّبَ الأطفال، فيكونُ عُمُر ابنِ أبي زيد ٤٨ سنة تقديرًا، ففي قولهم: إنه ألَّف «الرسالة» وعمره ١٧ سنة نظرٌ ظاهر، والله تعالى أعلم. ولا يُقبل هذا التوقيت الذي =

وكان على يسار وغِنى من المال ، فبسط يده بالخير السَّخِيِّ على شيوخِهِ وطلبته ، وعلى كل من استعان به أو عَلِمَ بحاجتِهِ . وتوفي محمودًا معظمًا في سنة ٣٨٦هـ رحمه اللّه تعالى .

خدمتي لهذه الرسالة : (العقيدة)

ذكرتُ فيما سَبَق أنَّ هذه (العقيدة) هي مقدِّمةُ « الرسالة » التي أَلَّفها الإمام ابنُ أبي زيد القَيْرَواني ، لتلقينِها الوِلدانِ الصِّغار مع تعليمهم وتحفيظِهم القرآنَ الكريم . وقد استحسنتُ خدمتَها ونشرَها ، لمسيسِ الحاجة إليها في وِلدان عصرنا وأيامنا ؛ لأنهم في أغلب البُلْدان بَعُدُوا

= قالوه لتأليفها إلا إذا كان الشيخ مُحرَز ولد قبل نهاية المائةِ الثالثة ، فيكون مُعمَّرًا عاش أكثرَ من ١١٤ سنة . فتأمل .

عن تعليمهم العقيدةَ والقرآنَ ، وعن تحفيظِهِ لهم في مطلع نشأتهم ! فيَبلغون شباباً وهم على فراغٍ كبيرٍ من هذا الأساسِ المتين وشِعارِ الدين .

وكثيرًا ما تَعصِفُ بهم الأهواء ، وتغلبُهم المُغْرِيات ، وقد يَنحرفُ بعضُهم إلى مُعاداةِ الدين والعياذُ باللّه تعالى ! جهلًا منه وبُعْدًا عن الاستنارةِ بكلامِ اللّه : القرآنِ ، ولحِرمانِهِ صِحةَ الاعتقاد باللّه تعالى .

واختَرتُ هذه (العقيدة) لِتعليمِها الصِّغارَ - والكبارَ لوَجَازتِها ، وفصاحةِ ألفاظها ، وبُعدِها عن الفلسفة التي أدخِلَتْ على (العقيدة والتوحيد) ، بدافع الردِّ على الفلاسفة وأشباهِهِمْ ، وحَوَّلَتْهُ في كثير من

الكتب من ركيزةِ الإيمان ومَعِينِهِ الصافي ، إلى مباحث علمية تَشُوبُها شُبَهٌ ورُدودٌ اقتَضَى ذكرَها الزمنُ الذي أُلِّفَتْ فيه ، فصارت عَسِرَةَ الفائدة لغير المتخصصين بدراسة العقيدة ، لامتزاجها بتلك الشُّبَهِ والردود .

قال الشيخ ابن القيم رحمه اللّه تعالى ، في « أعلام المُوقِّعين » ٢ : ٢٤٧ : « قال أبو حامد الغزالي : الإيمانُ المستفادُ من الكلام ضعيف . والإيمانُ الراسخُ إيمانُ العَوَامِّ ، الحاصِلُ في قلوبهم في الصِّبَا ، بتواتر السماع - أي ما يَسمعونه من آيات القرآن وأحاديث الرسول وكلامِ المؤمنين الكبار : آبائِهم وأمهاتِهم ومعلِّميهم

ومعلِّماتِهم – وبعدَ البلوغ بقرائنَ يَتعذَّرُ التعبيرُ عنها » .

وراعَيتُ في خدمتِها السهولةَ والوضوح ، وأضفتُ إليها كلماتٍ للإيضاح فقط ، وذلك قولي في ص ٣٣ في المقطع الأول : « ... فرض وركن في الدين » ، وفي ص ٣٨ في المقطع الثاني « ... فرض » وفي ص ٤١ في المقطع الثاني : « ... فريضة . ... واجب ، ... مطلوب ، ... واجب » . وجملةً يسيرةً متممةً لها ، نَبَّهْتُ عليها ، وجملةً من آخِرِ « الرسالة » رأيتها مفيدةً ، وبدَّلتُ كلمة أخرى إلى أسهل منها وألطف ، وذلك في

ص ٢٥ في قوله (ولا يتفكرون في حقيقة ذاته) فهو في الأصل (... في ماهية ذاته) وعلَّقتُ عليها بإيجازٍ، زيادةً في توضيحها وفهمها ، ومن اللّه أستمدُّ التوفيق والسداد ، والعونَ والرشاد . وهو وليُّ ذلك ومانحُه ، وصلى اللّه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا .

كتبه

عَبد الفَتَّاح أبُو غدَّة

في الرياض ٢٣ من ربيع الأول سنة ١٤١٢ هـ

(مقدّمةُ الرسالة)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

صلّى اللّهُ على سيدنا محمدٍ وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّم

قال أبو محمد عبدُ الله بنُ أبي زيد القَيْرَواني رحمه اللّه تعالى :

الحمدُ للّه الذي ابْتَدَأ الإِنسانَ بنِعمِته ، وصَوَّرَه في الأرحامِ بحِكمتِه ، وأبْرزَه إلى رِفْقِه (١) ، وما يسَّرَه له من رِزْقِه ، وعلَّمَه ما لم يكن يَعلمُ ، وكان فضلُ اللّه عليه عظيمًا ،

---

(١) أي أخرجَهُ من ضِيْق الرَّحِم إلى رَحْب الدنيا ، وأغدَق عليه الأرزاق ، وكمّله بالمعارف ، فالرِّفْقُ حاصلٌ له في كلا النشأتين : نشأتِهِ في الأرحام ، ونشأتِه في سعةِ الدنيا .

نبَّهَهُ بآثارِ صَنْعَتِه (١) ، وأعذَرَ إليه على ألسنةِ المرسلين الخِيَرةِ من خَلْقِه (٢) . فهَدَى مَن وَفَّقَهُ بفَضْله ، وأضَلَّ مَن خَذَلَه بعَدْلِه ، ويَسَّر المؤمنين لليُسرَى ، وشَرَح صُدورَهم للذِّكْرَى ، فآمَنُوا باللّه بألْسِنَتِهم نَاطِقينَ ، وبِقُلُوبِهم مُخلِصين ، وبمَا أَتَتْهم بِه رُسلُهُ

(١) أي دَله بآثار مخلوقاته سبحانه على أنه إلهٌ واحدٌ خالق قدير ، سميعٌ عليم بصير .

وفي كل شيءٍ له آيةٌ
تَدُلُّ على أنه واحِدُ

(٢) أي سَهَّل له السُّبُلَ إلى طاعِتِه وامتثالِ أمرِهِ واجتنابِ نهيه ، بما لا يُبقي له عُذرًا يَعتذرُ به عن تقصيرِهِ ومخالفتِه ، فَقَطع عُذْرَهُ ، فلا عُذْرَ له بعدَ إرسالِ الرُّسُل ، وإلا لقال : لولا أرسلتَ إليّ رسولًا فأتَّبعَ شريعتك وأوامرك .

وكتُبُهُ عاملينَ ، وتَعلَّمُوا ما علَّمهم ، ووقَفوا عندما حَدَّ لَهُم ، واستَغْنَوْا بِمَا أَحَلَّ لَهُم عمَّا حَرَّم عَلَيْهِم . أمَّا بعْدُ ، أعَانَنَا اللّه وإيَّاكَ على رِعَايةِ وَدَائِعِه [١] ، وحِفْظِ ما أَوْدَعَنَا مِنْ شَرائِعه [٢] ، فإنَّك سَألتَني [٣] أن أكتُب لك

---

(١) وما أكثَرَ ودائعَ اللّه تعالى للعبد ، فمنها : الجوارح السبعُ وهي : السمعُ ، والبصر ، واللسان ، واليدان ، والرجلان ، والبطن ، والفَرْج ، ومنها النَّفسُ ، والعقل ، والمال ، والعِرضُ ، والدِّينُ .

(٢) أي حفظِ أحكام دينه من حلال وحرام .

(٣) الذي سألَ ذلك من المؤلف ، هو : العبدُ الصالحُ الشيخ أبو محفوظ مُحْرَزُ بنُ خَلَف الصَّدَفي التونسي ، المؤدِّبُ : مُعلِّمُ القرآن ، فقد طَلَب منه أن يؤلِّفَ له كتابًا مختصرًا في اعتقاد أهل السُّنَّة مع فقهٍ وآداب ، ليتعَلَّم ذلك أولادُ المسلمين مع تعليمهم القرآن ، فألَّف =

جملةً مُختصَرةً من واجِبِ أمورِ الديانة ، ممَّا تَنْطِقُ بِهِ الألْسِنَةُ ، وتَعْتَقِدُهُ القُلُوبُ ... ، (١)

= ابنُ أبي زيد « الرسالة » ، وذلك في سنة ٣٢٧ هـ ، وسِنُّهُ إذْ ذاك ١٧ سنة .

فانتشرت هذه « الرسالة » في بلاد المسلمين حتى بلغَتْ العراق واليمنَ والحجازَ والشامَ ومصر وبلادَ النُّوبَة وصِقِلِّيَّةَ وجميعَ بلاد إفْرِيقيَّةَ والأندلسَ والمغربَ وبلادَ السُّودان ، وتنافس الناسُ في اقتنائها ، والعلماء في شرحها وخدمتِها ، لإخلاص مؤلفها وما آتاه اللّه القبول فيها .

(١) وقد بيَّنَ الإمام ابنُ أبي زيد في باقي « الرسالة » : الأحكام الفقهية والآدابَ الشرعية والمعاملاتِ من بيع وشراء ... ، وهي طويلة وافية ، كان يُفقَّه بها الصغارُ في عصره ، ويَعسُرُ التفقُّهُ بها من الكبار في عصرنا ! فاقرَأْ واحزَنْ !! واقتصرتُ هنا على كلامِهِ بشأن العقيدة وتعليمها للصِّغار في عصره ، والكبار في عصرنا أيضًا ! وحذفتُ أيضًا من الخطبة هنا العبارة التي تتعلَّق بالمباحث الأخرى من « الرسالة » .

لِمَا رَغِبْتَ فيه مِن تعليم ذلك للوِلْدَانِ ، كما تُعلِّمُهم حُرُوفَ القرآن ، ليَسبِقَ إلى قلوبهم مِن فَهْمِ دين اللّه وشرائِعه ما تُرْجَى لهم بركتُه ، وتُحْمَدُ لَهُم عاقِبَتُه ، فأجَبْتُكَ إلى ذلك ، لِمَا رجوتُه لنفسِي ولكَ مِنْ ثَواب مَنْ عَلَّمَ دِينَ اللّه أو دَعَا إلَيْهِ .

واعْلَم أنَّ خَيْرَ القُلوبِ أَوْعَاهَا للخَيرِ ، وأرْجَى القُلوبِ لِلْخَيْرِ مَا لَمْ يَسْبِقْ الشرُّ إلَيْهِ (١) . وأَوْلَى مَا عُنِيَ به النَّاصِحُون ، ورَغِبَ في أجْرِهِ الرَّاغِبُون : إيصالُ الخيْر إلى قلوبِ أوْلادِ المُؤمِنين لِيرْسَخَ فيها ، وتَنْبيهُهُم على مَعَالِم الدِّيانَةِ ، وحدودِ الشَّريعةِ لِيُراضُوا

---

(١) كقلوب الأطفال في براءتها وطهارتها ونظافتها ، من الغِشّ والمكرِ والحَسَد والبغضاء وأمراض الأهواء .

عَلَيْها (١) وما عليهم أن تَعتقِدَه مِن الدينِ قُلُوبُهم ، وتَعْمَلَ بِهِ جَوارِحُهم ؛ فإنَّه رُوِيَ أنَّ تعليمَ الصِّغارِ لِكتاب اللّه يُطفِئُ غَضَبَ اللّه (٢) ، وأنَّ تَعْلِيمَ الشَّيْءِ في الصِّغَرِ كالنَّقْشِ

(١) أي ليتمرَّنوا عليها ويَتَرَبَّوْا بِهذْيِها وإرشادِها .

(٢) رَوَى الإمامُ الدارميُّ في أواخر « سننه » ٢ : ٣١٥ ، وفي طبعةٍ ثانية ٢ : ٥٣٠ ، في كتاب فضائل القرآن ، في (باب في تعاهُدِ القرآن) عن التابعي الجليل ثابتِ بن عَجلان الأنصاري ، قال : كان يُقالُ : إنَّ اللّه لَيُريدُ العذابَ بأهلِ الأرض ، فإذا سَمِعَ تعليمَ الصِّبيانِ الحِكمةَ صَرَف ذلك عنهم . ويعني بالحكمةِ : القرآن . فالصِّغارُ غيرُ مكلَّفين ، فقيامُهم بالعبادات والطاعات للّه تعالى ومنها تلاوةُ القرآنِ وحِفظُه : يستدعي نزولَ رحمة اللّه ورضاه ، وهبوطَ البركاتِ والخيرات على المكان والسُّكان .

في الحَجَرِ (١) .

وقد مَثَّلْتُ لَكَ مَن ذلكِ ما يَنْتَفِعُون - إنْ شَاءَ اللّه تعالى - بحِفْظِهَ ، وَيَشْرفُونَ بعِلْمِهِ ، وَيَسْعَدُون بِاعْتِقَادِهِ والعَمَلِ بِهِ ؛ وقد جاء أَنْ يُؤْمَروا بِالصَّلاةِ لِسَبْعِ سِنين ، ويُضْرَبوا عليها لِعَشْرٍ ، ويُفَرّقَ بَيْنَهُم في المَضَاجِعَ (٢) ، فكذلِك يَنْبَغي أن يُعَلَّمُوا

---

(١) عن التابعي الجليل الحسن البصري قال : الحفظُ - وفي رواية : العلمُ - في الصِّغر ، كالنقش في الحجر . رواه الخطيب البغدادي في « الفقيه والمتفقه » ٢ : ٩١ .

(٢) عن عَمْرو بن شُعَيب ، عن أبيه ، عن جَدِّه قال : قال رسول اللّه ﷺ : « مُرُوا أولادَكم بالصلاة وهم أبناءُ سَبْعِ سِنين ، واضرِبوهم عليها وهم أبناءُ عشرِ سنين ، وفرِّقوا بينهم في المضاجع » . رواه أبو داود والحاكم =

مافَرَضَ اللّه على العِبَادِ مِن قَوْلٍ وعَمَلٍ قبْلَ بُلُوغِهِم ، لِيَأْتي عَلَيْهِم البلُوغُ وقد تمكَّنَ ذلك من قلُوبِهم ، وسَكَنَتْ إِلَيْهِ أَنْفُسُهم ، وأَنِسَتْ بِمَا يَعْمَلُون بِهِ مِن ذلِكَ جوارحهم .

وقد فَرضَ اللّه سبحانَه وتَعالى على القَلْب عَمَلاً مِن الاعْتِقَاداتِ ، وعَلَى الجَوَارِحِ الظَّاهِرَةِ عَمَلاً من الطَّاعَاتِ .

وسأُفَصِّلُ لَكَ مَا أذكرُهُ ، لِيَقْرُبَ مِن

= والدَّارَقُطْني .

وقد فرَّق النبي ﷺ سيِّدُ المُربِّين ، بالأحكام بين منازل السن وازدياد الإدراك : فأمْرٌ لسبعِ سنين ، وضَرْبٌ لعشرِ سنين ، وتفريقٌ فيها في المضاجع ، وفي هذا تمرينٌ وترشيحٌ لِمَا يُطالَبُون به بَعْدُ ، من الأحكام الشرعية عند البلوغ .

فَهْمِ مُتَعَلِّمِيهِ إنْ شَاءَ اللّه تَعَالى ، وإيَّاهُ نَسْتَخِيرُ [١] ، وبِهِ نَسْتَعِينُ ، ولا حولَ ولا قُوّةَ إلّا بِاللّه العَلِيّ العَظيم ، وصلّى اللّه على سيّدِنَا مُحَمّدٍ نَبِيّهِ وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ تَسْلِيمًا كثيرًا .

(١) أي نَطْلُبُ منه سبحانه أن يَختار لنا الخَيْرَ .

(بدء العقيدة)

باب ما تَنطِقُ به الألسنةُ وتعتقِدُهُ الأفئدة (١)

من واجبِ أمورِ الدِّيَانات

مِنْ ذَلِكَ : الإِيمانُ بِالقَلْبِ ، والنُّطْقُ باللِّسانِ :

أَنَّ اللّه إلهٌ وَاحِدٌ (٢) ، لَا إِلهَ غَيْرُهُ ، ولَا

(١) أي القلوب ، جمعُ فؤاد وهو القلب .

(٢) قول المؤلف هنا : أَنَّ اللّه إلهٌ واحدٌ ... هذا بَدْءُ ما سيذكره مما يجبُ الإيمانُ به في القلب ، والنُّطقُ به في اللسان ، وسيعطِفُ عليه بقيةَ الفرائضِ الاعتقادية بقوله : وأنَّ ... وأنَّ ... وأنَّ ... فاعرِفْ هذا ، وقد جعلتُ كلَّ جملةٍ فيها : (وأنَّ ...) من أول السطر ، تنبيهًا إلى ذلك .

شَبيِهَ لَهُ ، ولا نَظيرَ لَهُ ، ولا وَلَدَ لَهُ ، ولا والِدَ لَهُ ، ولا صاحبةَ له [١] ، ولا شريكَ له . ليس لأَوَّلِيَّتِه ابْتَدَاءٌ ، ولا لآخِرِيَّتِهِ انْقِضَاءٌ ، ولا يَبْلُغُ كُنْهَ صِفَتِهِ الواصِفُونَ [٢] ، ولا يُحِيط بأمْرِهِ المُتَفَكِّرُون .

يَعْتَبِرُ المُتَفَكِّرُون بآياتِه ، ولا يَتَفَكَّرُون في حقيقة ذَاتِهِ [٣] ، ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ

---

(١) أي لا زوجةَ له سبحانه .

(٢) أي لا يَعلمُ أحد حقيقة صفاته سبحانه .

(٣) أي لأنَّه لا يَعلمُ أحدٌ حقيقة ذاتِ اللّه تبارك وتعالى ، قال سبحانه في القرآن الكريم عن نفسه : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ ، وإنما نَعرِفُ اللّه تعالى بصفاتِهِ وأسمائِه التي جاءت في القرآن الكريم أو صَحَّتْ عن النبي ﷺ ، ومما جاء في القرآن =

عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ (١) حِفْظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ . العَالِمُ الخَبِيرُ ، المُدَبِّرُ القَديرُ ، السَّميعُ البَصِيرُ ، العَلِيُّ الكَبيرُ .

= في تبيينِ بعض صفاتهِ سُورةُ : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ ، وآيةُ الكُرسِيِّ : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ .

(١) أي لا يُعجزُهُ ولا يَشُقُّ عليه حفظُ السموات والأرض .

وأنَّه فَوْقَ عَرْشِهِ المَجِيدِ بِذاتِهِ [١] ، وهو

(١) لفظةُ (بذاته) لم ترد في الكتاب والسنة ولا في كلام الصحابة رضي الله عنهم . قال الحافظ الذهبي في كتاب « العلو » ص ١٧٢ عند ذكرها في كلام ابن أبي زيد هنا : « وقد نَقَموا على ابن أبي زيد في قوله : (بذاته) ، فليته تركها » .

وقال الحافظ الذهبي أيضًا في « سِير أعلام النبلاء » ١٩ : ٦٠٦ ، في ترجمة الإمام العلامة أبي الحسن بن الزاغوني : عليٌّ بن عُبيَد الله بن الزاغوني البغدادي الحنبلي ، المتوفى سنة ٥٢٧ هـ رحمه الله تعالى ، بعد أن ذكَرَ قولَه من قصيدةٍ له :

عالٍ على العرشِ الرفيع بذاتِهِ

سُبحانهُ عن قول غاوٍ مُلْحِدِ

ما يلي : « قد ذكرنا أن لفظَة (بذاتِهِ) لا حاجة إليها ، وهي تَشْغَبُ النفوس ، وتَرْكُها أولى ، والله أعلم » . =

فِي كُلِّ مَكَان بِعِلمِهِ (١) .

خَلَقَ الإنْسَانَ ويَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ

= وقال أيضًا في « سِيَر أعلام النبلاء » ٢٠ : ٨٦ ، في ترجمة الإمام العلامة الحافظ شيخ الإسلام (أبي القاسم إسماعيل بن محمد التَّيمي الأصبهاني ، الشافعي ، الملقَّب بقِوَام السُّنة ، المتوفى سنة ٥٣٥ هـ رحمه الله تعالى ، بعدَ ذكر سُؤالٍ سُئلَهُ أبو القاسم التَّيْمِي : (هل يجوزُ أن يقال : لله حَدٌّ أَوْ لا ؟) فأجاب فيه بالتفصيل .

قال الحافظ الذهبي عَقِبَهُ : « الصوابُ الكفُّ عن إطلاق ذلك ، إذ لم يأت فيه نَصٌّ ، ولو فرضنا أن المعنى صحيح ، فليس لنا أن نتفوَّه بشيء لم يأذن به الله ، خوفًا من أن يَدخُلَ القلبَ شيءٌ من البدعة ، اللهم احفَظْ علينا إيمانَنا » . انتهى .

(١) يعني أنَّ عِلمَ الله تعالى محيط بكل مكان ، لا

نَفْسُهُ (١) ، وهو أقرب إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ (٢) وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا ، وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٣) . عَلَى

يَخفَى عليه شيءٌ في الأرضِ ولا في السماء .

(١) أي ما تُحَدِّثُهُ به نفسه وتُخطِرُهُ بباله من الخير والشر . والوسوسة : الصوتُ الخفي .

(٢) حَبْل الوريد : العِرقُ الذي في باطن الرقبة من الإنسان ، وهذا مَثَلٌ تضربُهُ العربُ لشدةِ القرب ، والمرادُ أنَّ اللّه تعالى بعلمه سبحانه أقربُ إلي الإنسان من أقربِ شيء إليه ، فهو بعلمه أقربُ إليه من نَفْسِه وخواطره ، وهو أعلم بأحواله كلِّها خَفِيِّها وجَلِيِّها .

(٣) هذا الكلامُ مأخوذ من قوله تعالى في سورة الأنعام ، الآية ٥٩ : ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا =

....

= يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ .

قال المفسّر أبو عبد اللّه القرطبي في تفسيره « الجامع لأحكام القرآن » ٧ : ١ « المفاتِحِ : جمعُ مِفْتَح ، ويقال : مِفْتاح ، ويُجمَعُ مَفَاتِيح ، وهي قراءةٌ : ﴿ وَعِندَهُۥ مفاتيح ٱلْغَيْبِ ﴾ ، والمِفْتَح أو المِفتاح في الآية الكريمة استعارةٌ عن التوصُّلِ إلى الغُيُوب ، كما يُتوصَّلُ في الشاهدِ بالمِفتاح إلي المغيَّب عن الإنسان .

فاللّه تعالى عنده عِلمُ الغَيْب ، وبيدِهِ الطُّرُقُ المُوصِلَةُ إليه ، لا يملكُها إلا هو ، فمن شاء إطْلاَعَهُ عليها أطْلَعه ، ومن شاء حَجْبَهُ عنها حَجَبَهُ . ولا يكونُ ذلك من إفاضتِهِ سبحانه إلا على رُسُلِهِ ، بدليل قولِهِ تعالى : ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ .

وقولُهُ تعالى : ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ ، خصَّهُمَا =

....

= بالذكر لأنهما أعظمُ المخلوقاتِ المجاورة للبَشَر ، أي يَعلَمُ سبحانه ما يَهلِكُ في البَرّ والبحر ، ويقال : يَعلمُ ما في البر من النباتِ والحَبِّ والنَّوَى ، وما في البحر من الدَّوَابِّ ورِزقِ ما فيها » . انتهى .

وقولُه تعالى : ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا ﴾ . يعني وَرَقةً من أوراق الأشجار أيَّ ورقةٍ كانت ، في جميع أقطار الأرض ، من أي شجرة كانت ، فإنه يَعلمُ سقوطَها ، كما يَعلمُ ابتداء وجودِها ، ومَسافةَ محلِّها ، ومُدَّةَ بقائِها ، وحركَتَها وسكونَها ، وتفصيلَ أبْعَاضِها ، وحَيِّزها ، وكيفيتَها ، ومكانَ سُقوطِها ، وكيف تَسقُطُ هل لِظَهْرِها أو لِبَطْنِها ، أو رَطْبَةً أو يابِسةً وما يَسبقُ ذلك وما يَنشأُ عنه ، وما يَصحَبُهُ من أوصافِها وخَوَاصِّها ، وأحكامِها وأسرارِها ، إلى غيرِ ذلك من شأنِها . ويتعلَّقُ عِلْمُهُ بذلك قبلَ وجودِها ، وحالةَ كَونِها ، وبعدَ وجودِها . =

....

= وقولُه تعالى : ﴿ وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ ، يُحتمَلُ أن يُرادَ : ولا تَسقُط من حَبّةٍ رطبةٍ ولا يابسةٍ . أو يُرادَ : ما يكونُ من حبةٍ رَطْبةٍ ولا يابسة إلا يَعلمُ متى تَنْبُتُ ، وكم تُنبِتُ ، ومن يأكلُها ، أو لا يكونُ من رَطْبٍ ولا يابس حَبّةً كان أو غيرَها .

و ﴿ ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ ﴾ : بُطونُها . ﴿ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ أي مُفْصِح وهو اللوحُ المحفوظ ، لتعتبرَ الملائكةُ بذلك ، لا أنه سبحانه كتَبَ ذلك لنسيانٍ يَلحقُهُ ، تعالى عن ذلك عُلُوًّا كبيرًا . وقيل : كتَبَهُ في اللوحِ المحفوظ وهو يَعلمُهُ لتعظيم الأمر ، أي اعلَمُوا أنَّ هذا الذي ليس فيه ثوابٌ ولا عقابٌ : مكتوبٌ ، فكيف بما فيه ثوابٌ وعقاب ؟ والمقصودُ من الآيةِ الكريمةِ إثباتُ علمِهِ تعالى بكل ما دَقَّ وجَلَّ ، لا يَخفَى عليه شيءٌ في الأرضِ ولا في السماء .

الَعرْشِ استَوى (١) ، وعلى المُلْكِ ....

(١) قال العلامة الشيخ أحمد البُرْنُسِي المشهورُ بزَرُّوق رحمه اللّه تعالى ، في « شرح الرسالة » ١: ٢٤ و٣١ « جاء ذكرُ الاستواء على العرش في ستة مواضع - بل سبعة مواضع - من كتاب اللّه تعالى ، فقيل: إنَّ ذلك من المتشابِهِ الذي يُنزَّهُ عن المُحال، ولا يُتعرَّضُ لمعناه ، وهو مذهبُ السلف وجماعةٍ من الأئمة ، وحُمِلَ عليه مذهبُ مالك ، إذ سُئِلَ عن قوله تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ ، فقال : « الاستواءُ معلوم ، والكيفُ غيرُ معقول ، والإيمانُ به واجب ، والسؤال عنه بدعة » لأنه من تتبُّعِ المشكل الذي وقع النهيُ عنه .

ولله دَرُّ القائل :

قُلْ لمن يَفهمُ عني ما أقولْ

قَصِّرِ القولَ فذا شَرحٌ يَطُولْ =

....

= ثَمَّ سِرٌّ غامِضٌ مِن دُونِهِ
قصُرَتْ واللّه أعناقُ الفحولْ
أنت لا تعرِفُ إياك ولا
تَدْرِ مَنْ أنتَ ولا كيف الوصولْ
لا ، و لا تَدْرِ صِفَاتٍ رُكِّبَتْ
فيك حارَتْ في خفاياها العقولْ
فإذا كانت خَفَايَاكَ التي
بينَ جَنْبَيْكَ بها أنت ضَلُولْ
أين منك الرُّوحُ في جَوْهَرِها ؟
هل تَراها فترى كيف تجولْ؟
أين نُورُ العقلِ والفهِمِ إذا
غَلَبَ النومُ فقل لي يا جهولْ =

احتَوَى[١]، وله الأسماءُ الحُسْنَى ،

= هـذه الأنـفـاس لا تَعـرِفُـهـا
لا ، ولا تدري متى عنك تزولْ
أنت أكلُ الخُبزِ لا تَعرِفُهُ
كيف يَجري فيك أم كيف تبولْ
كيف تدري مَنْ على العرشِ استَوَى
لا تَقُل كيف استَوَى كيف النزولْ
كيف يُحكَى الربُّ أم كيف يُرى
فلَعمْري ليس ذا إلا فُضُولْ
جَلَّ ذاتًا وصِفَاتٍ ، وسما
وتَعَالَى قَدْرُهُ عَما تقول »

انتهى بزيادة بعضِ أبياتٍ من غيره .

(١) أي كلُّ شيء هو مملوك للّه تعالى .

والصِّفاتُ العُلَى .

لَمْ يَزَلْ بِجمِيعِ صِفاتِه وأسْمَائِهِ . تَعَالَى أنْ تَكُونَ صِفاتُه مَخْلُوقَةً ، وأسماؤُه مُحْدَثَةً ، كلَّمَ مُوسى بِكَلامِه الذي هو صِفَةُ ذاتِهِ ، لا خَلْقٌ مِنْ خَلْقِه ، وَتَجَلَّى لِلْجَبَلِ فَصَارَ دكًّا مِنْ جَلَالِهِ (١) .

وأنَّ القرآن كَلاَمُ اللّه لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ فَيَبِيدَ (٢) ، ولاَ صِفَةً لِمَخْلُوقٍ فَيَنْفَدَ (٣) .

والإيمانُ بِالقدَرِ خيْرِه وشَرِّه حُلوِهِ ومُرِّهِ

---

(١) أي مَدْكُوكاً مُفَتَّتاً مَسْحُوقًا ، من خشيةِ اللّه وجلالِهِ سبحانه .

(٢) أي يَفْنَى .

(٣) أي يَذهَبَ ويضمحِلَّ .

(فرضٌ وركنٌ في الدين) ، وكُلُّ ذلك قَدْ قدَّرَهُ اللّه رَبُّنَا ، ومَقادِيرُ الأمورِ بِيَدِه ، ومَصْدَرُها عَن قَضائِهِ ، عَلِمَ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلَ كَوْنِهِ (١) ، فَجَرَى عَلَى قَدَرِهِ (٢) ، لا يَكُونُ مِنْ عِبادِهِ قولٌ ولا عمَلٌ إلَّا وقَدْ قَضاهُ ، وسَبَقَ عِلْمُهُ بِهِ : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ (٣) .

يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ فَيَخْذُلُهُ بِعَدْلِهِ ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَيُوَفِّقُهُ بِفَضْلِهِ ، فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ

---

(١) أي قبلَ وجودِه .

(٢) أي وَقَع ذلك الشيءُ الذي عَلِمَهُ اللّه تعالى قبلَ وجوده ، على طِبقِ ما عَلِمَهُ سبحانه .

(٣) من سورة تبارَكَ المُلْك ، الآية ١٤ .

بِتَيسِيرِهِ إلى ما سَبَقَ مِن عِلْمِهِ وقَدَرِهِ ، مِنْ شَقِيٍّ أوْ سَعِيدٍ .

تَعَالَى أن يَكُونَ في مُلْكِهِ ما لا يُريد ، أو يكونَ لأحدٍ عنه غِنَى ، أو يكونَ خالِقٌ لِشَيْءٍ إلاَّ هُوَ (١) ، ربُّ العِبَادِ وربُّ

---

(١) قال سبحانه في كتابه الكريم : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴾ ، من سورة الزُّمَر ، الآية ٦٢ . وقال سبحانه أيضاً : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ ﴾ ، من سورة الأعراف : الآية ٥٤ . وقال أيضاً : ﴿ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ ؟ ﴾ ، من سورة فاطر ، الآية ٣ .

قال العلماء : يُقالُ : اللّه خالقُ كلِّ شَيءٍ ، من نفعٍ وضُرٍّ ، وحُلوٍ ومُرٍ ، وخيرٍ وشر ، ولا يُقالُ : خالقُ القبائح والشُّرور ، أو الكُفر والمعاصي ، والقاذُوراتِ والقِرَدَةِ والخنازير ، ولا يُضافُ اسمٌ من أسمائه إلى ذلك أدبًا مع اللّه سبحانه .

أعْمَالِهِمْ، والْمُقَدِّرُ لحرَكَاتِهم وآجَالِهِم ، البَاعِثُ الرُّسُلِ إلَيْهِم ، لإقَامةِ الحُجَّةِ عَلَيْهِم .

ثُمَّ خَتَم الرِّسَالَةَ والنِّذَارَة والنُّبُوَّةَ بمُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ ﷺ ، فَجَعَلَهُ آخِرَ الْمُرْسَلِينَ ، بَشِيراً وَنَذِيراً ، ودَاعِيًا إلى اللّه بإذْنِهِ وسِرَاجاً مُنيراً .

وأنْزَلَ عَلْيهِ كِتَابَهُ الحكِيمَ ، وشَرَحَ بِهِ دِينَه القوِيمَ، وهَدَى بِهِ الصِّراطَ الْمُسْتَقيمَ .

وأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيهَا ، وأَنَّ اللّه يَبْعَثُ مَنْ يَموتُ ، كما بَدَأَهُم يَعُودون (١) .

(١) قال اللّه تعالى : ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ﴾ ، من سورة الأنبياء ، في الآية ١٠٤ ، قال الحافظ ابن =

وأنَّ اللّه سبحانَه ضَاعَفَ لِعِبادِهِ المُؤمِنين الحَسَنَاتِ ، وصَفَحَ لَهُم بالتّوبَة عَنْ كَبَائِرِ السَّيئاتِ ، وغَفَرَ لهم الصَّغَائِرَ ، بِاجتِنابِ الكَبائِر ، وجَعَلَ مَنْ لَمْ يَتُبْ مِنَ الكبائِرِ صَائِرًا إلى مشيئته : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن

= كثير في تفسيرها : « يعني هذا - أي إعادةَ الخلق والحشر - كائنٌ لا مَحالة ، يومَ يُعيدُ اللّه الخلائقَ خلقاً جديداً ، كما بدأهُمْ هو القادِرُ على إعادتهم » . انتهى . وفي الآية الكريمة تشبيهٌ للإعادة بالبَدْءِ في تناولِ القدرةِ عليهما على السَّوَاء ، فكما أوجَدَ سبحانه الخلائقَ أولًا من العَدَمِ إلى الوجود ، يُعيدُها بعدَ موتِها وفنائِها كذلك من العدم إلى الوجود ، بل هو أهوَنُ عليه سبحانه وتعالى في نظرنا ، لا بحسب الواقع ، فليس شيءٌ أصعب على اللّه من شيء ، وليس شيء أهون على اللّه من شيء فخَلْقُ المخلوقاتِ كلِّها عنده سَوَاء .

يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ (١) ، وَمَن عاقَبَهُ بِنَارِهِ أخرجَهُ مِنْهَا بإيمَانِهِ ، فَأَدْخَلَهُ بِهِ جَنَّتَهُ ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرًا يَرَهُۥ ﴾ (٢) ويُخْرِجُ مِنْها بِشَفَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ مَنْ شَفَعَ لَهُ مِن أَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِهِ .

وأَنَّ اللّه سبحانَه قد خَلَقَ الجَنَّةَ فأَعَدَّها دار خُلود لأَوْليائِهِ ، وأَكْرَمَهُم فِيهَا بِالنَّظَرِ إلى وَجْهِهِ الكَرِيمِ ، وهِيَ الَّتي أَهْبَطَ مِنْهَا آدَمَ نبيَّه وخليفَتَه إلى أرضِه ، بما سَبَقَ في سابق عِلْمِه ، وخَلَقَ النَّارَ فأَعدَّها دارَ

---

(١) من سورة النساء ، الآية ٤٨ .

(٢) من سورة الزلزلة ، الآية ٨ .

خلودٍ لِمَن كَفَرَ بِهِ ، وأَلْحَدَ في آيَاتِهِ وكُتُبِه وَرُسُلِهِ [١] ، وجَعلَهم مَحجُوبين عَن رُؤْيَتِه .

وأن اللّه تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَجِيءُ يَوْمَ القِيَامَةِ : ﴿ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [٢] ، لعَرْضِ الأُمَمِ وحِسابِها ، وعقوبتِها وثوابِهَا ،

---

(١) قوله : (أَلْحَدَ) أي حاد ومال عنها إلى الباطلِ والضلال .

(٢) من سورة الفَجْر ، وهذا جزء من الآية : ٢٢ ، وتمامها : ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ . قال شيخنا العلامة الإمام حسنين محمد مخلوف مفتي الديار المصرية رحمه اللّه تعالى ، في تفسيره « صفوة البيان لمعاني القرآن » ص ٨٠٤ : « هذه الآية من آيات الصِّفَاتِ التي يجبُ الإيمانُ بها كما جاءت ، من غير تكييف ولا تمثيل ولا تأويل ، على ما ذهب إليه جمهور السلف ، ورُوي عن الحسن البصري : جاء أَمْرُهُ وقضاؤُه » .

وتُوضَعُ الموازِينُ لِوَزْنِ أعْمالِ العِبادِ : ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (١) ، ويُؤْتون صَحائِفَهم بأعْمَالِهِم : فمَن أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمينه فسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسابًا يَسيرًا ، ومَن أُوتِيَ كِتَابَه وَرَاء ظَهْرِهِ فأُولئِكَ يُصْلَوْنَ سَعِيرًا .

وأنَّ الصراطَ حقٌّ ، يَجُوزُه العِبَادُ بقدْرِ أعْمالِهم ، فنَاجُونَ مُتفاوتُون في سُرعةِ النَّجاةِ عليه من نارِ جَهنَّمَ ، وقَوْمٌ أوبَقَتْهُم فيها أعْمالُهم (٢) .

والإيمان بحِوضِ رسولِ اللّه ﷺ

(١) من سورة الأعراف ، الآية : ٨ .

(٢) أي أرْدَتْهُم أعمالُهم السيئةُ في نار جهنم .

(فرضٌ) ، تَرِدُهُ أُمَّتُه ، لا يَظْمأُ مَن شَرِبَ مِنه ، ويُذَادُ عنه مَن بدَّل وغيَّر [١] .

وأنَّ الإيمانَ قَولٌ باللِّسانِ ، وإخلاصٌ بالقلبِ ، وعَمَلٌ بالجوارِح ، يزيدُ بزيادةِ الأعمالِ ، ويَنْقص بِنقْصِها ، فيكونُ فيها النقصُ ، وبها الزيادة ، ولا يَكْمُلُ قولُ الإيمانِ إلاَّ بالعَمَلِ .

ولا قَولَ وعمَلَ إلاَّ بِنيةٍ ، ولا قولَ وعمَلَ ونيةَ إلاَّ بموافَقَةِ السُّنَّةِ [٢] .

---

(١) أي يُمْنَعُ ويُدفَعُ عنه مَنْ بَدَّل وغيَّر بالكفر والابتداع ، لا بالعصيان المجرّد ؛ لأنه ليس بتبديل ولا تغيير وإن كان مخالفاً للمطلوب .

(٢) المرادُ بالسُّنَّة : طريقةُ رسولِ اللّه ﷺ التي كان =

وأنَّه لا يَكْفُرُ أحَدٌ مِن أهلِ القِبْلَة بذَنْبٍ (١) .

وأنَّ الشهداءَ أحياءٌ عند ربِّهم يُرْزَقُون ، وأرواحَ أهلِ السَّعادَةِ بَاقِيَةٌ نَاعِمِةٌ (٢) إلى يومِ يُبْعَثُون ، وأرواحَ أهلِ الشقاوةِ مُعذَّبةٌ إلى يَوْم الدين .

وأنّ المؤمنين يُفتنون في قبورِهم ويُسألون : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى

= عليها ، من قولٍ أو فعلٍ أو تقرير .

(١) أي ما دام مؤمناً باللّه ورسوله واليوم الآخر ولم يأت بما يُخلُّ بإيمانِهِ .

(٢) أي متنعِّمةٌ في سرورٍ ورضا .

ٱلْأَخِـرَةِ ﴾ (١) .

وأنّ على العبادِ حفَظَةً يَكتبون أعمالَهم ، ولا يَسقُطُ شيءٌ مِن ذلك عن عِلم ربِّهم ، وأنَّ مَلَكَ الموتِ يَقْبِضُ الأرواحَ بإذن ربّه .

وأنَّ كلَّ إنسانٍ أو مخلوقٍ يموتُ بأجَلِهِ ، (ولو قُتِلَ أو غَرِقَ أو احترق أو سُمَّ) (٢) .

وأنَّ خيرَ القرونِ القرنُ الذين رَأوا رَسُولَ اللّه صلّى اللّه عَلَيه وسلّم وآمَنُوا بِهِ (٣) ، ثم

---

(١) من سورة إبراهيم ، الآية : ٢٧ .

(٢) هذه الجملة من زيادتي ، استحسنتُ إضافتها .

(٣) وهم الصحابة الكرام الذين أثنى اللّه عليهم =

الذين يَلُونَهم[١] ، ثم الذين يلونَهم[٢] ، وأفضلُ الصحابةِ الخلفاءُ الراشدون المَهْديُّون : أبُو بكرٍ ثم عُمَرُ ثم عُثمانُ ثم عليٌّ رضِيَ اللّه عَنهم أجْمَعِينَ .

وأنْ لا يُذْكَرَ أحدٌ مِن صَحابةِ الرسولِ ﷺ إلاَّ بأحْسنِ ذِكْرٍ ، والإمْسَاكُ عمَّا شَجَرَ بَيْنَهُم[٣] ، وأنَّهم أحقُّ الناسِ أن يُلْتَمَسَ لَهُم أحْسَنُ المَخارج ، ويُظَنَّ بِهِم

= وبادَلَهم الرِّضَا بقوله سبحانه : ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ﴾ .

(١) هم التابعون للصحابة .

(٢) هم تابِعُو التابعين .

(٣) أي الكفُّ والسكوتُ عما وقع بينهم من اختلاف : واجبٌ .

أحْسنُ المَذَاهِبِ .

والطَّاعةُ لأئِمَّةِ المُسلِمين مِن وُلاَةِ أمُورِهم وعُلَمائِهِم (فريضة) ، واتِّباعُ السَّلفِ الصَّالِحِ واقْتِفَاءُ آثارِهِمْ (واجب) ، والاسْتِغْفَارُ لَهُم (مطلوب) . وتَرْكُ المِرَاءِ والجِدَالِ في الدِّين وتَرْكُ كُلِّ مَا أَحْدَثَهُ المُحْدِثُونَ : (واجب) .

واعلم (١) أنَّ أولَى العلوم وأفضلَهَا وأقرَبَها إلى اللّه تعالى : عِلمُ دِينِه وشرائعِهِ ، مما أَمَرَ به ، وَنَهَى عنه ، ودَعَا إليه ، وحَض عليه ، في كتابِهِ وعلى لسان نبيه محمد

(١) هذا المقطع إلى الآخر أضفته من آخر « الرسالة » .

صلّى اللّه علَيه وسلّم ، وكذلك الفَهْمُ فيه ،والتهمُّمُ برعايتِهِ ، والعَمَلُ به . والعلمُ أفضَلُ الأعمال .

وأقْرَبُ العلماءِ إلى اللّه تعالى وأَوْلاَهم به : أكثُرهم له خشيةً ، وفيما عندَهُ رغبةً .

والعلمُ دليلٌ إلى الخيرات وقائدٌ إليها . واللَّجأُ - أي الرجوعُ - إلى كتابِ اللّه تعالى ، وسُنَّةِ نبيِّه محمد ﷺ ، واتباع سبيلِ المؤمنين ، وخيرِ القرونِ من خَيرِ أُمَّةٍ أُخرِجَتْ للناس : نَجاةٌ ، ففي المَفْزَعِ إلى ذلك العِصمةُ ، وفي اتِّباعِ السلفِ الصالحِ النجاةُ ، وهم القُدوةُ في تأويلِ ما تأوَّلوه ، واستخراجِ ما استنبطوه ، وإذا اختلفوا في

الفروع والحوادث لم يُخرَج عن جماعتهم . والحمدُ للّه الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتديَ لولا أنْ هدانا اللّه .

وصلّى اللّه على سيّدنا مُحَمَّدٍ نَبِيِّه وعلى آله وصحبه وسَلَّم تَسْلِيماً كَثِيراً .

تمَّت الرسالة

المحتويات